بونـــة المكـــان ومرجعيـــتـــه

في روايـــة "وليمة لأعشاب البحر"
للكـــاتـــب حيدر حيدر

الدكتور: **مـــحـــمد خـــان.**
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة محمد خيضر –بسكرة–

فاتحـــة أولـــى:

للناس مع هذه الرواية حكايات...

هي الرواية...

صورة من الحياة التي قضيناها.

هي عنابة...

أو بونة المدينة التي أحببناها.

حباها الزمان عروس المدائن، وفاتنة البحر.

حبا فيك مدينتنا نكتب عنك الجميل.

كنت أراك بالناظرة جميلة، والبصيرة ساحرة.

عفوا إذا اللسان...أو القلم...

عذرا لأهلها وسكانها، لأساتذتنا فيها.

تكريما لثلاثة عقود من عمري فيها.

ما قبـــل البدايـــة:

أثارت رواية "وليمة لأعشاب لبحر" أو "نشيد الموت" للكاتب السوري حيدر حيدر خلال هذا العام (2000) ضجة كبرى، شاركت فيها أصوات وأقلام، اتسمت بالرصانة حينا وبالعنف أحيانا أخرى. فدعت جماعة إلى مصادرتـــها، وحكمـــت بالكفر على صاحبها؛ لأنها تضمنت تجاوزات في حق الذات الإلهيـــة. ونـــهضت

أخرى للدفاع عنها، داعية إلى تنزيلها في مجالها الأدبي، وهي لا تعدو أن تكون إبداعا فنيا بشروطه ومميزاته.

لقد حققت هذه الضجة شهرة واسعة لكاتبها، وهو لم يسع إليها، ذلك أن الطبعة الأولى للرواية كانت سنة 1983، وحين ذلك لم يثر صدورها اهتماما لدى القراء. وما قرأناها في هذا الوقت إلى من باب الفضول باعتبارها تتحدث عن إحدى مدن الجزائر، وعن ثورتها العظيمة.

كتب غسان الإمام السوري في الشرق الأوسط 5/23، منتقدا وزارة الثقافة المصرية لاختيارها أعمالا سورية لكتاب يساريين أنتجوا جميعا أدبا لم يلقى رواجا في سوريا، باستثناء عبد الله ونوس. وهو أدب في مجمله ينطوي على عداء مباشر، وغير مباشر للتراث الفكري العربي أصالة وحداثة[1].

وقال بشأنها الدكتور يوسف سلامة: إن الشخصية الإنسانية لا قيمة لها إلا بالحرية، ولا وجود لها إلا إذا كانت تملك حق التعبير الحر. والحرية ليست صميم الإبداع، وإنما هي صميم الوجود الإنساني نفسه. والكاتب حيدر حيدر قد عبر عن عالمه كما يشاء، وهذا حق له وليس لشخص آخر إلا أن يمارس الحق نفسه[2].

ويصرح الكاتب حيدر حيدر في حوار له بأنه أحد الكتاب الصداميين، وأن المشروع الأدبي مشروع سياسي. وهذه القناعة جسدها في روايته "وليمة لأعشاب البحر" وهو خريج مدرسة ثقافية تتميز بطابع عقلاني. والسياسة تؤثر بالسلب على العمل الأدبي ما لم يوازن الكاتب بين الخط السياسي وباقي الخطوط مثل ما يفعل هو.

هذه الرواية ذات محتوى سياسي يتجلى عبر محور الثورة الجزائرية (ما قبلها وما بعدها) وصعود الدكتاتورية العسكرية في العراق[3]، والصدام الذي وقع بينها وبين التنظيم الشيوعي هناك. وعلاقة ذلك بالأوضاع في العالم العربي،

وبخاصة بالجزائر التي تعاظمت ثورتها ونالت تقدير العالم، ثم تهاوت في أتـــون الأنظمة العربية المختلفة.

إن القارئ المتمعن لما يكتبه حيدر حيدر حتى في وليمة لأعشـــاب البحـــر يجده كاتبا حرا قوميا، ثائرا مؤمنا بقضية الإنسان العربي. يدافع عنه ضد القتلـــة والجلادين، يصور الإنسان الثائر المؤمن بقضية بلاده. المدافع عن مبـــدأه حتـــى العطب، وهو المآل الذي وصلت إليه شخصياته في الوليمة. فإذا هي شـــخصيات منكسرة ذليلة مهانة فقدت رجولتها وأوطانها وحلمها بالثورة والتغيـــير، فراحـــت تشتم وتسب كل شر بدءا من الزمان الذي كانت تثور فيه إلى ذلك الزمـــن الـــذي سبب التخلف والتسلط والارتداد إلى الوراء[4].

وهكذا نالت هذه الرواية حظا من الاختلاف زاد من قيمتها، شأنها في ذلـــك شأن الأعمال الإنسانية المتنوعة. وهذا ما يدعونا إلى قراءتها من جديـــد قـــراءة سيميائية، محاولين استجلاء خصائص المكان، ودلالته، ومرجعيته.

وهذه الرواية تتخذ من مدينة عنابة مكانا تدور فيه أحداثها، وفضاء تتجمـــع فيه ثورة الجزائر العظيمة، وأحداثها الكثيرة، موصولة بما حدث بالشيوعيين فـــي العراق من قتل وتشريد، وما وقع لهم في الجزائر من سجن واعتقـــال. ويضـــئ المستقبل في الجزائر أملا في تغيير الواقع المتعفن، ولكن هذا الفـــردوس الحلـــم ينطفئ في الواقع المعيش، وبهذا نقرأ نهاية الرواية في قوله: «وخلال العام الـــذي سيمضيه في بونة كاستراحة محارب قبل أن يعتقل ويطرد من المدينة ليتوه فيمـــا بعد مشردا ومنبوذا في بلاد العرب الموحلة والضيقة»[5].

إذا كان للكاتب الحرية في أن يختار بناء عمله الأدبي، فيرسم لنـــا عالمـــا إنسانيا متسقا برؤيته للحياة البشرية، فإن الباحث كذلك، يختار الزاوية التي يعـــالج منها الموضوع. وهو حر في ذلك بقدر حرية الكاتب.

فهناك من يعالج السرد باعتباره عملا فنيا جماليا، فيكون الاهتمام منصبا على المستوى التعبيري ومنطلقاته الأدبية والبلاغية والجمالية (البيوطيقا).

وهنالك من يميل إلى مقاربته باعتباره علامة لا تختلف عن غيرها فينصب الاهتمام على مادة الحكي أو المحتوى، وتكون منطلقاته سيميولوجية (سيميوطيقا) (6).

ومن هذه التوجيهات أجدني ألتقي بالدراسات التي تهتم بالمحتوى أو بمادة الحكي بالهدف الوقوف على سيميائية المكان.

ومن أجل أن نستكمل صورة تحديد المكونات الحكائية والسردية المختلفة نضع الرواية أو مادة الحكي في موضوعها من الخطاب والنص على النحو التالي لتتاح لنا إمكانية إدماجها في خطاطة شاملة(7):

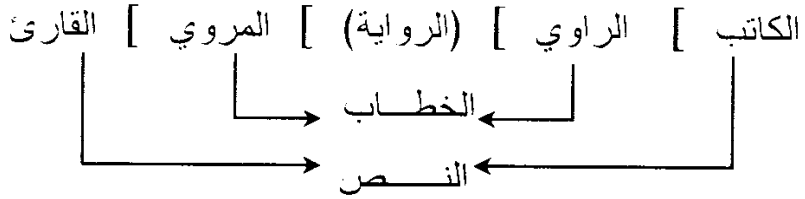

وتراني أبدأ بالحديث عن الهجرة إلى عنابة، ثم أقسم المكان إلى قسمين:

قسم أماكن الإقامة، وقسم أماكن الانتقال، وفي كل قيم أماكن جزئية كالبيوت أو الفنادق أو المقاهي أو المطاعم أو غيرها...

وأختم بمجموعة من صفات بونة أو عنابة.

الهجرة إلى بونة (عنابة):

كثيرة هي العوامل التي تدفع الإنسان إلى الهجرة، فيغادر أهله وموطنه طوعا أو كرها، ويحل بأرض يختارها أو يرغم على النزول بها، ويعاشر قوما يألفهم، أو يصدمونه، فينتابه الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن الأم.

ويكون للهجرة معنى إذا كانت في سبيل مهمة عظيمة، ومن أجل برســـالة نبيلة، وهل من رسالة أعظم من التعليم؟ وقد كانت الجزائر في حاجة إلى معلميـــن بعد استقلالها. وكانت تخوض التجربة الاشتراكية.

ولقد كان مهدي جواد المدرس العراقي «يحلم باســـتلام حـــزب شـــيوعي للسلطة في منطقة حساسة من الشرق الأوسط، هادفة إلى تدمير سياسة التعـــايش السلمي والانفراج الدولي[8]». و قد خاب أمله في العراق، ففشل الشيوعيون فـــي انقلابهم، وأعلنت بغداد الحرب ضدهم في أهوار الجنوب[9]، ورسمت لهم خريطـة الإعدام الجماعي في مبنى القيادة العامة للمخابرات العسكرية[10].

لا بد من الفرار، والهروب من المحرقة، والنجاة مـــن الإبـــادة الجماعيـــة للشيوعيين، واللجوء إلى بلد آمن، يسمح بالتغيير ويؤمن بقوة الجمـــاهير، ويولـــي الاشتراكية مكان الريادة في بناء المجتمع الجديد.

ولا مندوحة –إذن– من الهجرة إلى موطن الثورة المفخرة التي زعزعـــت الحلف الأطلسي، وهزت محافله، وقدمت المليون الشهيد[11]. وهي تســـعى لبنـــاء المجتمع الجديد، والاقتصاد الجديد، وتنادي بالثورة في جميـــع الميـــادين. وهكـــذا انطلقت الرحلة من البصرة إلى بونة (الجزائر) داخـــل حلـــم غـــامض[12]. «إن الجزائر الثورة منارة مشعة في ليل هذا الذل العربي[13]».

هؤلاء الأساتذة الشرقيون «خرجوا من الصحراء الحارة والجائفـــة، وفـــي رؤوسهم الجزائر المتاخمة لباريس التي سمعوا عنها»[14].

يخرجون من أوطانهم المختنقة إلى بلاد الحرية والمتعة، ولهم فيها منافعـــه كثيرة. يقصدون الجزائر بالتحديد لأنها تجاور باريس، وكانت تحت سيطرتها عـــدة قرون وأكثر، وهل من تأثير أبلغ من الاستعمار. فكما ينهب ثروات الوطن يســـمح للجسد بأن ينهب اللذة.

بونة في الرواية هي عنابة، والكاتب يختار الاسم التاريخي الذي يعود إلى أصول فينيقية (أي أوبون-Ubbon) بمعنى الملجأ أو الخليج[15]، وهو ما يتوافق مع موقعها الجغرافي. إذ تقع في الساحل الشرقي للجزائر، يمتد إليها البحر المتوسط في خليج واسع، ويشقه شمالا وادي سيبوس، ويحضنها من الغرب -جبل إيدوغ- وتترامى أمامها السهول الخصبة ذات الرطوبة العالية.

«وكان مهدي جواد يسميها الطفلة الشرسة التي تداعب أمواج المتوسط بأصابع قدميها، وتتكئ برأسها على جبل سرايدي (إيدوغ للجبل، وسرايدي للقرية) وهي المسورة بالبحر والغابات، والتي كانت المأوى الشرقي لقراصنة باربروس بعد غاراتهم على سفن إسبانيا وصقلية[16]».

لقد تعمدت الإدارة الاستعمارية استبدال الأسماء العربية لكثير من المدن الجزائرية، فبدلا من عنابة كانت تروج لاسم (بون-Bône) في جميع المعاملات والمراسلات وبين الهيئات الرسمية. فهل كان الكاتب يقصد العودة إلى الأصول الفينيقية لعلاقته بذلك النسب الشامي؟ أم هل كان يريد اختزال الاسم العربي لاعتقاده أن المدينة غريبة عن المدن العربية؟ نرجئ الجواب إلى حين.

عرفت بونة حركة دينية، أطلق عليها إسم (دونات-Donat) أو الدوناتية تزعمها أسقف قرطاجة (313-355م)، وكان يدعو إلى فصل الدين عن السلطة التي كانت تستخدم الكنيسة لكبت الحريات، وهذه الحركة في جوهرها ثورة نوميدية ضد الوجود الروماني، هدفها تحقيق العدالة الاجتماعية، ومحاربة التفاضل والامتياز، ونهض القديس أوغسطين لنصرة روما، وبذلك اعتبروه منقذا للكاثوليكية في إفريقيا[17].

ألا توجد علاقة بين هذه الحركة والثورة الجزائرية؟ أليس الهدف في كلتيهما طرد الاستعمار وتحقيق العدل؟ وإذا كان لذلك كذلك فمن يشاكل أغسطين؟

لا أحد إلا حاكم البلاد الرئيس هواري بومدين؟ وما يأتي من حديث عـن وقـائع الرواية يجيب عن هذا التساؤل، وعما سبقه من أسئلة.

يقول الكاتب متحدثا عن بونة : «بناها الفينيقيون، ثـم رممـها الرومـان، والآن لم يبق من تاريخها العمراني غير أعمدة من الأنقـاض والمينـاء وكنيسـة القديس أوغسطين حيث يسجى جسده المصاغ من الجص. الفرنسيون بنوا المدينـة الجديدة شرق الأنقاض على التخوم المجاورة للبحر، وبعـد اندحـار المعمريـن الفرنسيين، وجيوشهم الغازية هبط الجزائريون من الجبال وسكنوا منازلهم الفخمـة المغطاة سطوحها بالقرميد الأحمر، والمحاطة بأزهار الليلك والمستكي»[18].

لماذا تجاوزت الرواية تاريخ بونة العربي والإسلامي والعهد العربي ؟ أفمن العـهد الروماني إلى الاحتلال الفرنسي؟

لقد أسس العرب المسلمين بونة الحديثة على مشارف البحر فـي القـرن الرابع الهجري في عهد الصنهاجيين (350هـ-961م). يقول البكـري :«بونـة القديمة تسمى اليوم مدينة زاوي»[19]. وهو ابن زيري بن مناد الصنهاجي مؤسـس الدولة الزيرية، ومن آثارها المدينة القديمـة (وبـلاص دارم) ومسـجد سـيدي بومروان. ومن حيث انتهى العثمانيون بدأ الفرنسيون في بناء بونة.

ويضاف هذا الإلغاء للتاريخ العربي الإسلامي إلى اختزال الاسم العربـي لمدينة (عنابة)، فتكون المحصلة مدينة بونة غير عربية في وجودها الحالي، زمـن الرواية، وما ورد وصفها بالعربية إلا مرة واحدة على لسان منار (شـقيقة آسـيا) الرافضة للمدينة وأهلها والمتشوقة إلى فرنسا كل حين. فهل يكفي هذا الوصف بأن يقال بونة عربية؟

عندما نزل مهدي جواد أرض بونة، كان أول ما انطبع في ذهنه أنها مدينة غريبة[20]. تكره الغرباء[21] ولو كان عربيا[22] وقد نصحه الشرقيون المقيمون بها

قبله : «كن حذرا المدينة شرسة وفظة. لا تتأخر ليلا، البونيون لا يحبون الغرباء، ولأتفه سبب يسرقونك أو يذبحونك»[23].

مدينة غريبة في مبانيها وشوارعها، وفي طباع أهلها، وسلوك سكانها، يعتدون على كل غريب، فيضربونه أو يقتلونه لأتفه الأسباب. وهذا التحذير من شأنه أن يزرع في نفسه مخاوف كثيرة، وقد سارع سائلا "آسيا" فأجابته بأن المستعمر جرح الروح والجسد. وجعلهم يخشون كل قادم من وراء الحدود[24]. وفي حقيقة الأمر موقعها على ساحل البحر يسبب لها الغزو والسطو، لذلك كان أهلها على أهبة الاستعداد على الدوام للدفاع عن أنفسهم وعن مدينتهم.

بونة مدينة صغيرة، إفريقية، استوائية، ساخنة[25]، رطبة[26]، مطوقة بالبحر والغابات[27]، كأنها سجن[28]، لذلك كان سكانها يكرهونها[29]، لأنها لا تقدم لهم أية مسرة حقيقية تمتص الوقت المضاع[30].

وتعمقت هذه الكراهية من وحشية البوليس الوطني الذي لا يرى البشر إلا عصاة أو حيوانات شرسة خارجة عن القانون ومنتهكة لحرمة الأخلاق[31].

وهذه الحياة لا تبعث على الاستقرار، ولا الارتياح والسكينة في بلد زمّيت يحكمه الدين والشرطة وعصابات آخر الليل التي تقتل وتغتصب من أجل دينار[32].

ولا جرم إن كان حلم أهلها الأكبر -كما في البلاد المغربية- الهجرة إلى فرنسا الأم[33]، ومن الغرابة بمكان أن يصف الكاتب فرنسا بالأم بالنسبة للمغاربة جميعا، وبخاصة الجزائريين الذين تفصلهم عن أمومة فرنسا بحار من الدماء، وجبال من الشهداء، وتاريخ طويل من العذاب والشقاء، فإذا كانت ظروف الحياة تدفع بالجزائري إلى الهجرة فإنها هجرة من الأم، وليس إلى الأم.

لقد انتدب هذا المدرس وغيره لمهمة مقدسة، وهي تربية الأجيال الصاعدة، وتعليمهم لغة آبائهم وأجدادهم التي محاها الاستعمار واستبدل بها لغته، ولكنه ينزع إلى تغيير التاريخ، والتمكين إلى للاتجاه الماركسي في قيادة البلاد[34].

وتحولت بونة إلى يد المدرسين الأشاوس إلى بنك وخمارة وماخور وكاراج سيارات وسوق سوداء[35].

كانت الحياة من مدينة بونة رتيبة مملة، يومها كأمسها، يقضي سكانها يومهم الكئيب بين مواقع العمل، والمقاهي والخمارات، والتسكع في الساحات وعلى شواطئ البحر[36].

وتهجع المدينة في المساء تحت صمتها المقفر[37]. وتغلق أبوابها النهارية في التاسعة ليلا، وتبقى البارات والمقاهي (الخمارات)، وتبدأ المتعة المنتهبة، وفي هذه الأقبية يلتئم شمل الأوروبيين الذين تعاقدت الدولة كخبراء مع المسؤولين من رجال الجدولة والحزب، يحتسون الخمر إلى منتصف الليل[38]. وكذلك يترتادها سكارى المدينة وعمال مرهقون، ومجاهدون متقاعدون، وعاطلون متشردون، وأزواج محبطون. كل هؤلاء تقودهم سفنهم إلى خليج هذه المرافئ بعيدا عن أعاصير الحزن والمرارة وصدمات النهار[39].

أما في المنازل فقد كانت الأسر -بعد العشاء- تتصلب كالتماثيل منذ السابعة مساء أمام شاشة التلفزيون -الغبية- لتشاهد مباريات كرة القدم أو أفلام الكابوي الأمريكية، أو المصرية القديمة المليئة بالحسرات والدموع والخيبات[40]. وكان الترويح أحيانا بالتلفزة التونسية التي كانت تلتقط بمدينة بونة وما جاورها، وبخاصة برنامج "أم تراكي ناس ملاح"[41] هكذا قالت لالة[42] فضيلة. وهو برنامج كان ينال إعجاب عامة أهل المدينة.

وقد صور الكاتب حياته بأنها لا تتعدى نقاطا أربعا: البيت، المدرسة، المقهى، الشاطئ. تربط بينهما الشوارع، فتكون مربعا كالتالي:

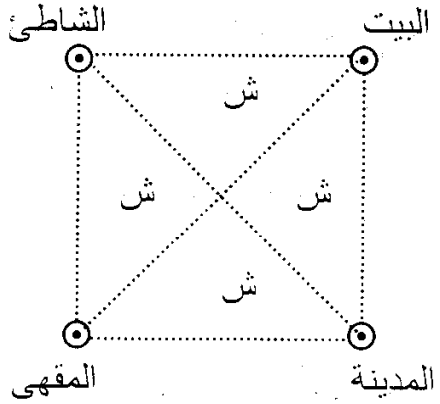

حياة تدور حول ذاتها كما يدور خذروف، لا يمثل وقت العمل منها إلا عشر الوقت، والتسعة أعشار الباقية يلتهمها الفراغ.(43)

وإذا كانت حياة المدينة بهذه المثابة فإن بونة-حينئذ- لا تتعدى أن تكون استراحة محارب قبل أن يعتقل ويطرد من المدينة.(44)

هذه المدينة المتوحشة فقدت أمانها، يحكمها الإرهاب والجوع والسمسرة والدين والحقد والجهل والقتل والقسوة. (45)

وبعدما اعتقل رفيقه مهيار الباهلي في بونة تنبأ بسقوط هذه المدينة: مدينة الروائح الكريهة والجراثيم والأحماض والبالوعات والنفايات الصاعدة من براميل القمامة. المدينة المزدحمة بالأجساد و العرق والسيارات والغيظ والملل(46).

وقد انفجرت مدينة بونة يوم 19 جوان 1965 بمظاهرات صاخبة :ليبرتي ليبرتي بوخروبة يا سفاح ، لا للعسكر، نعم لبن بلة. لا للديكتاتورية. نعم للحرية. و في ذلك اليوم تلقى الجند الأوامر بمواجهة الشعب الأعزل في شوارع المدينة، و ابتدأت حصادها الدموي في شارع أول نوفمبر وعبان رمضان وريزي عمر وساحة أفريقيا والأسواق الشعبية. والولايات الأخرى تشهد المداهمات والاعتقالات

والتصفيات[47]. لقد كتبوا اسم بن بلة و الجزائر على الجدران، و لكن الجيش قهر الشعب بالرصاص[48]. هل يمكن بناء عالم جديد بإنسان قديم؟[49]

«البلاد العذراء التي تختزن المعادن والحبوب والبترول والغاز والمستقبل الغامض ... ولكنها كانت تلوح بلادا جارحة كحد المدية، كما تختزن الجمال وعذوبة الطبيعة، والمواد الخام. كانت تختزن الزلازل والأعاصير، ونذر الحرب ومقاصل الإعدام. كانوا يسمونها مهابط و أرض الأنبياء غير أنها مع تقدم الأزمنة... لتتفجر بالدم الأسود ستسمى مهبط ومرقى فرق الكوماندوس، وحملة بنادق الناتو والبحارة اليانكيين مختبرا لصنوف تجارب التعذيب[50].

لقد عزمت السلطة أمرها هذه المرة لتكوين جديرة بأخلاق الخلفاء الذين أبادوا الزنج والقرامطة... واتحدت وزارة الدفاع والداخلية على ضرورة التحطيم الذري لهيولي الجنين الماركسي النامي في الأرض العربية إلى أبد الآبدين[51]. و"بشير حاج علي" المناضل الشيوعي اعتقل في الأبيار، وعذب في عصر بوخروبة [52]. كما عذب مهيار الباهلي في الأهوار حتى فقد رجولته[53].

بونة مدينة الأمجاد الزائفة[54] في وطن الثورات المغدورة[55]، وسكانها بدأوا يحسون أن الغزاة قبل أن يغادروها منذ عشر سنوات، بذروا جراثيم سلالتهم في رحم المدينة[56]. فيصاب العقل بجرثوم الشهوة والقتل[57].

وثورة المليون شهيد انتهت للعسكر والتجار في النهاية[58]، والوطن صار سوقا سجلوها باسمهم في المصارف والدوائر العقارية[59]. وصار للشهداء شوارع باسمهم وساحات ومؤسسات، ونصب تذكارية في كل مكان[60]. فكان هذا نصيبهم من الوطن الذي سقوه بدمائهم، أما ثرواته فإنها بضاعة في السوق يتاجر بها الأحياء. والنتيجة أن الثورة التي قام بها الشهداء، من أجل مبادئها انحرفت عن منهجها الاجتماعي.

أماكن الإقامة

أ. الفنادق:

لابد لكل إنسان في مسكن يأوي إليه، ولكن ليس من السهل أن يحصل عليه في بلد مثل الجزائر، فالأزمة خانقة، وبخاصة في المدن الكبرى، ولهذا يضطر كثير من الوافدين إلى الإقامة في الفنادق، وهي أنواع و درجات والموظف بحسب راتبه، لا يرتاد إلا البسيطة منها، وقد يتنقل بين هذا وذاك طلبا للراحة.

أمضى مهدي جواد المدرس المتعاقد أكثر من شهرين في فنادق الدرجة الرابعة، وهي عبارة عن مراقد عمومية، يمتثل كل زبائنها لأوامر إدارتها التي لا تسمح بالسهر إلى ما بعد منتصف الليل، كما لا تسمح بالنوم إلى ما بعد الثامنة صباحا[61]. حتى تتمكن المنظفات من ترتيب الأفرشة والغرف.

وإذا كان النزيل بها محظوظا فأنه يقيم مع نظرائه، وإن لم يكن فعليه أن يتعامل مع كل الفئات، القادمين من مختلف الجهات، من الداخل أو الخارج، سواء موظفين أم فلاحين، عمالا أم تجارا أم موالين...

وفي السبعينات اكتضت فنادق عنابة بالعاملين بمصنع الحجار الذين يقيمون بها طوال السنة، ويدفعون الأجرة شهريا، ولا يبقى للعابرين إلا بعض الغرف المعدودة، وقد يحاول النزيل كثيرا ليحصل على غرفة تدفع أجرتها شهريا. فيختار من يقيم معه لمدة شهر.

هذه الفنادق الشعبية دائبة الحركة ليل نهار، لا تسمح بالراحة الكاملة، و مرافقها مشتركة، وليس بها مقهى ولا مطعم ولا تلفاز، وكل هذه الحاجات تطلب خارج الفنادق، وهكذا تتوزع حياة المقيم بها بين عدة أماكن، ليتمكن من تلبية حاجاته من مرقد ومطعم ومقهى...

ب. البـــيـــوت

ثم بعد بحث حثيث، ووساطة المشارقة السابقين، استأجر غرفة عند الحاج محمد أحد أثرياء المدينة ووجهائها، وكانت غرفة بسيطة تقع وسط المدينـــة، بـــها سرير قديم، وخزانة حائط، وطاولة، وكرسيان من خشب[62]. وقـــد تكـــون هـــذه الغرفة واحدة من غرف كثيرة للإيجار بها مرافق مشتركة، أو جزءا مـــن بيـــت مأهول بعائلة يخصص هذا الجزء منه للإيجار.

في هذه الغرفة المتواضعة كان مهدي جواد يحضر الدرس الذي تكرر عبر حياته، ولا يغادرها أيام العطل في بعض الأحيان، فـــلا يخـــرج حتـــى الصبـــاح التالي[63]، تاركا رائحته في هذه الغرفة التابوتية.[64] فهي ضيقة جدا، ولا تســـمح بتجديد الهواء ولا تتسع لأكثر من شخص واحد.

كان الحاج محمد يلاحظ باستمرار آسيا في غدو ورواح، تزور مهدي فـــي غرفته، يدرسها اللغة العربية، ولكن الأمر مريب في غرف أهل المدينة «ما الـــذي يفعله رجل وامرأة إذا ما انفردا في غرفة مغلقة؟».[65] وما كان الحاج محمد ليقبل هذا السلوك وما كان ليسمح بأن تنتهك الأخلاق في جيرته. فأخبر رجال الشرطة ، وجاءوا يدقون الباب «وهما الآن داخل غرفة مغلقة».[66] قالت آسيا: «إنه البوليس يا للفضيحة».[67] ولاشك في أن هذه المداهمة للبيوت خرق للقانون، وهذا التجـاوز ومثله مألوف في حياة المدينة.[68]

وقد تظاهر مالك البيت بصيانة الأخلاق الفاضلة، وفي حقيقة الأمـــر فإنـــه أجر الغرفة إلى فرنسي طمعا في زيادة الأجرة.[69] وهذا في غاية الغرابـــة، فمـــا واجه الفرنسيون أزمة السكن، إذ يلزمون الدولة في عقود العمل بتوفير المســـاكن لهم.

واستضافته آسيا في بيتها مرات عدة، وتلقت منه دروس العربية، كما تلقتها في بيته و في غرفة مهدي جواد، وبيت آسيا لخضر. كان الدرس يسير في مجراه، وفي مجرى الدرس تتنامى صداقة خاصة.[70] قالت: نحن الجزائريين، مازلنا أطفالا. لقد ولدنا بعد موت الاستعمار..

قال: في المشرق نحن عجائز في سن الأطفال.[71]

تلك دروس في ظاهرها تعليمية، وفي جوهرها أيديولوجية، تضئ مغاليق المستقبل، وتشيد مجد الإنسان العربي. «والدرس التمهيدي بدأ في بيت آسيا: ذلك البيت المسرح لكل أحداث بونة، وتجليات الزمن المضاء والمعتم».[72]

فهذا البيت تتعدى وظيفته الإقامة والراحة إلى اللقاء الفكري والتوجيه الأيديولوجي، وتوطين المنهج الماركسي في نفوس أبناء الجيل الجديد، الذين سيقومون بتصحيح مسار الثورة الجزائرية التي انحرفت عن طريقها «وسيستمع ملايين النساء والرجال إلى بشير حاج علي سجين معتقل الأبيار في اللحظة التي يقرر فيها أن يتكلم».[73]

وبعد شهر عثر على غرفة في الحي الغربي من المدينة،[74] وهي متواضعة كذلك، تتناسب أجرتها مع أجرته التي يتقاضاها نهاية كل شهر من المدرسة، ولما زارته فيها فلة بوعناب عرض عليها القهوة أو الشاي، فعلقت عليه: في بيتك المشروبات الأخلاقية لا غير.[75] لأنها اعتادت على تقديم المشروبات الكحولية.

هذه المرأة التي شاركت في الثورة إلى جانب الرجال، وزارت كثيرا من بلاد المشرق وأوربا، لها وجوه ثلاثة : وجه الأم، ووجه المناضلة، ووجه العاهرة[76]، لقد أخذوا منها الوطن، أعطوها البنسيون[77].

ذلك البيت الذي يقع في الطابق الأول من شارع عبان رمضان[78]، يسمونه نزل المشارقة الفلســـطينيين والســـوريين والعراقيـــين والمصرييـــن[79]، رشـــيد الفلسطيني، عبد الله السوري، ذوالنون العراقي، مرســـي المصـــري، والآن هـــذا المهيار[80]، وكان قد نزل عندها أول ما نزل أرض بونة[81].

"فلة" المرأة الثورة تأتيها أسراب الطيور المهجرة المتعبـــة فتحـــط علـــى شجرتها الوارفة، تتفيأ وترتاح، وتنقر ثمرها في الصباح ضاربة في عمق سماوات جديدة. وهكذا صارت طعاما شهيا للمقيمين والوافدين بعدمـــا انكســـرت بوصلـــة توجيهها، وهي تغادر الجبال باتجاه المدن المنتصرة[82]. فكل الثوار عـــبروا مـــن هنا، وتخرجوا من مدرسة العنابية وتركوا بصماتهم على خريطة الجسد[83].

يلتقي مهدي جواد ومهيار الباهلي ضيفين في بيت فلة بوعناب، فتقودهمـــا نحو صالون واسع، بلاط نظيف تغطيه البسط، وبعض الطنافس القديمـــة. ديـــوان مغطى بشرشف زهري، مدفأة الجدار عليها مزهرية، وضع فيها ورد اصطنـــاعي علاه الغبار.على الجدار علق سيفان صغيران تحتهما طبق نحاسي مغربي أصفـــر. الجدار المقابل تزينه سجادة حائط. لوحة صيد تقليدية لنمور مذعورة يطلق عليـــها النار بدو فوق جياد رامحة. أعلى الديوان صورة داخل إطار لمقاتلين بينهم امـــرأة بثياب قتال[84]. تصف الرواية بيتا عنابيا وصفا دقيقا، وبخاصة قاعة الاستقبال، ما يفرش فيها، وما يعلق على جدران من رموز كالسيف للقتال، والسجادة للإيمـــان ومجال الانتماء والطبق للكرم، والنمر لترويض المتوحـــش وركـــوب المخـــاطر والفرس للفروسية. وصورة المرأة المقاتلة هي فلة المجاهدة.

تقدم لهما كل أنواع المأكولات والمشروبات بل حتى الكحولية منها،«كـــان على الطاولة النبيذ والخضار والحشائش والبيض المقلي،و شرائح البفتيـــك»[85]. كان الضوء خافتا في البيت، وهي تختال بكامل زينتها، مبتهجـــة تحـــت أمـــواج

عطرها[86]، وعيناها تتوهجان بالرغبة على حافة استجلاء ــ اغتصاب بلا رغبة[87]. هي جاهزة الآن.[88]

صورة من صور الاستغلال البشع الذي تعرضت له الثورة الجزائرية بعد الاستقلال، فانتهكت مبادئها، ونال منها القاصي والداني، القريب والبعيد، وما كان ليرضى بها الشهداء، ولا الأوفياء لميثاقها. الثورة كانت، وانتهت[89] ورجال مروا، وما بقي إلا عشاق السلطة، الذين داسوا على المبادئ الثورية، وانساقوا وراء اللذة و المتعة وجمع المال.

جـ. الفيلات:

أما الأحياء الراقية، فهناك الفيلات النظيفة، البيضاء والزرقاء، في حي اللورانجري[90] وبوسيجور[91]، فيلات المعمرين والبورجوازيين التي تركوها بعد الحرب، فهبط إليها الجزائريون، وسكنوها[92]، يوشحهم الهدوء، و تسورهم عرائش الورد، يشعرون بالأمن والأمان في حماية الحرس الأزرق (البوليس).[93]

في شارع الكولونيل لطفي تقع فيلا التاجر يزيد ولد الحاج -وهي حق للثوار- الذي استخلف الشهيد سي العربي لخضر في عائلته، فتزوج أرملته(لالة فضيلة)، وضم أولاده الأربعة فصارت له أسرتان :واحدة أصلية، والثانية مكتسبة. وكان من بين أفراد الأسرة المكتسبة آسيا التلميذة التي رسبت في الباكالوريا مرتين بسبب ضعفها في اللغة العربية، لذلك استعانت بذلك المدرس المشرقي الذي من المفروض أن يحمل العربية كقضية. وعلى الرغم من وجود ثانوية فرنسية بالمدينة يمكن أن تسجل فيها آسيا، وتنجح في الباكالوريا كغيرها ممن ينتسبون لهذا النوع من التعليم، لكنها اختارت التعليم الوطني، ورغبت في أن تتعلم العربية، لأنها تقول: «نحن عرب ونريد أن نتعلم لغتنا الأصلية، اللغة التي سلبها منا الكولون»[94]

أنها المرأة الملاذ، لم تتشوه بقتل أبيها، ولا بفقـــدان اللغـــة، ولا بدمـــارات الحرب والتعذيب [95].هذه الثورة تنهض من حطامها بأمل متوهج، وتنظـــر إلـــى المستقبل بثغر باسم، ودم الشهيد سي لخضر لم يذهب هدرا، فهو حي لم يمـت[96]، وكانت تحلم بعالم صحي، وبشر أنقياء في عصر الاستقلال المزدهـــر[97]. إنـــها ترمز لجيل الاستقلال الذي يحمل لواء الثورة فيواصل مشـــوار البنـــاء ممتســـكا بانتمائه إلى الأمة العربية.

لقد استشهد لخضر في الثورة بيد الكولون، ويقتل الآن –بعد الاستقلال– بيد يزيد ولد الحاج الذي يسكن بيته ويطأ فراشه ويدوس آثاره ويهين ذراريـــه.[98] ولا يخجل أن يرفض نظام الكولونيل بومدين، و خاصة التأميمات مخافة أن يســـتولوا على المقهى والمخزن ومزرعة الأبقار في ابن مهيدي[99]. قال: «هذا البوخروبـــة يخرب الجزائر باشتراكية ورثها عن الأحمر بن بلة».[100]

أمـــاكن الانتـــقـــال

أ. <u>المدرسة أو المعهد:</u>

انتدبت الجزائر كثيرا من الشرقيين للقيام بالتدريس في مختلف المـــدارس، وفي جميع المواد، باللغة العربية، تطبيقا لمشروعها في تعريـــب التعليـــم. ولكـــن مهيار الباهلي يختار معهد المعلمين أو يعين فيه «ليتحدث عـــن ســـفر التكويـــن النموذجي للعربي المنتظر، كما يتراءى له في لوائح صبواته».[101]

والمعهد التكنولوجي للتربية الذي تكون المعلمين من أصلح البيئات لنشـــر الأفكار والأيديولوجيات. وبهذا تتمكن الأجيال المتعلمة من اعتناق الأفكار الثورية، ونشرها في المجتمع، والدفاع عنها. «فالزمن يطحن جيلا ليرقى جيل آخر»[102]

وقد اتخذ نموذجه من الإصلاح اللوثري، وعصور التنوير عابرا إلى ابـــن خلدون وابن رشد وغيلان الدمشقي والسهروردي، والحـــلاج وابـــن الروانـــدي،

وأخيرا «القرامطة الذين جسدوا السلطة للاشتراكية المشاعية».[103] وواصل قناعاته بأن هؤلاء نماذج تصلح لتأسيس الاشتراكية، وأن ما يسمى باشتراكية الإسلام غير صحيح، لأن الإسلام إذا وحد العرب فإنه لم يشيد الاشتراكية. «واشتراكية الزكاة مرفوضة».[104] كما أن التأميم ليس الاشتراكية، فما هو إلا ترقيع مزيف، فالاشتراكية هي بروح العلم لا بروح الدين[105]، وهل يبنى العالم الجديد بالإنسان القديم؟ لا يوجد في العراق وسوريا ومصر وسائر بلاد العرب غير النهب والقتل والأكاذيب.[106] وما ينادي به السياسيون في الأمة العربية صورة للدجل والتزييف، ومغالطة للشعوب في حقيقة الأمر، وإن كان ظاهر السياسة العدل والمساواة.

ب. <u>المطعم:</u>

تكثر المطاعم في المدن، وتزداد كلما ازداد عدد الوافدين إليها، وهذا أمر طبيعي ولكن الكاتب يحدثنا عن مطعم مخصوص يقع في شرق المدينة في مواجهة البحر، يؤمه الخبراء الأجانب الذين يعملون في مصنع الحديد والصلب ويملكه أحد الجزائريين المقيمين في فرنسا.

«كان المطعم خصوصيا محرما على الرعاع العرب»،[107] وعندما رغب في دخوله تحايل هو ورفيقته، تحدثا بالفرنسية، فقدموا لهما ما قد طلباه.

في واقع المدينة يوجد مطعم راق إلى درجة كبيرة، يقدم وجبات غذائية مرتفعة الثمن، لذلك لا يرتاده إلا الميسورون والوجهاء. وعندما تغلق جميع المقاهي والمطاعم في نهار رمضان يرخص لهذا المطعم نهارا بأن يستقبل الأجانب -ماعدا العرب- ويقدم لهم طعام الغداء.

ذلك أن السائد في المجتمع الجزائري هو التزام جميع العرب بصوم رمضان، وكانوا لا يستسيغون أن يكون العربي يهوديا مثلا أو مسيحيا. وقد احتج

كثيرا من هؤلاء الشرقيين على هذا الإجراء الإجباري، لأنهم لا يلتزمون بصوم رمضان. ويعبر البطل عن هذا «هما هاربان من المدينة كالمعتاد، ومن شهر رمضان والصيام الإجباري»[108] في بلد زميت يحكمه الدين والشرطة وعصابات اخر الليل[109].

وفي رمضان تختلف البلدان العربية بعضها عن بعض، فان كانت المقاهي والمطاعم تظل مفتوحة في وجه الزبائن، في مصر وسوريا وتونس فانها تغلق كلها في النهار في الجزائر، ولا يرخص إلا لعدد قليل جدا في بعض المدن ليقدم بعض الخدمات للأجانب.

جـ. المـقـهي:

تمثل المقاهي مكانا مفضلا عند كل وافد أو مقيم، يقضي فيها أوقات راحته،ويلتقي بأصدقائه وقد «كانوا يشربون البيرة والقهوة والشاي الأخضر، ويثرثرون بلهجات مختلفة».[110] وقد صورها الكاتب ملجأ لكثير من السلوكات السلبية كالحديث عن المواعيد الغرامية، واستبدال العملة، وشراء السيارات.

في حانة المغرب يكرع زجاجات البيرة مع الفول السوداني وتدخين سجائر الهقار المقيتة بين ضوضاء السكارى[111]، كما يجلس في مقهى الشرق أو على رصيفها، أو تحت الأشجار المقابلة لها لعقد الصفقات السوداء واستبدال العملة.

وهناك المقاهي العديدة التي يتحول الكثير منها إلى حانات بعد التاسعة ليلا، يلتقي فيها الأوربيون المتعاقدون كخبراء بالمسؤولين من رجال الدولة والحزب يعبون الخمر إلى منتصف الليل. كما يرتادها سكارى المدينة من عامة الشعب، ومجاهدون متقاعدون، وعاطلون متشردون، وأزواج محبطون. كل هؤلاء يفرون إلى خليج هذه المرافئ بعيدا عن أعاصير الحزن والمرارة، وصدمات النهار.[112]

إن الحانات الليلية أو المقاهي النهارية تجمع بزجاجات ما بين جميع الجنسيات،والفئات والأعمار، وتسهرهم في بوتقة الكأس المعتقة ، فيذوبون في رحيقها، ويختفون تحت ألوانها. يالك من صفراء لا تنزل الضغينة ساحتها جمعت بين قلوب شتى وجنسيات شتى، والثورة عجزت عن ذلك.

د. الساحات والشوارع :

يتحدث الكاتب عن كثير من الشوارع ، ويوظفها لمرور الناس وعبورهم إلى البيوت، والمحطات، والساحات، والمؤسسات. يذكر في عنابة شارع أول نوفمبر، والعقيد لطفي، وعبان رمضان ، وابن باديس، تلك بعض الشوارع التي أطلقت عليها أسماء الشهداء.

كثيرة هي الشوارع التي تصب من ساحة الثورة بوسط مدينة عنابة، والتي تقابل المسرح و البلدية حيث تقام فيها المهرجانات والاحتفالات الرسمية.

تتوسط مدينة عنابة ساحة كبرى، معروفة لدى السكان باسم الكور(Cour)، ملتقى الناس في الأماسي خاصة، بها أشجار وارقة، وأكشاك للتبغ والجرائد والمجلات، وأخرى للمرطبات والمشروبات، يوجد على رصيفها الأيمن مقهى الشرق، وعلى رصيفها الأيسر مقهى الغرب، وهما من أشهر مقاهي المدينة.

يقول: «هنا رئة المدينة» يتنفس منه الناس من شدة التعب والألم، أو هو كور بونة الرحمي كما يقول مهيار.[113] يستقبل الأفراد ويفرغ الجماعات التي تأتيه من كل حدب وصوب.

بعد ساعات العمل يأتي الموظفون والمسؤولون والشرقيون والفرنسيون إلى هذه الساحة المظللة بشجر الدردار مصب أمواج البشر المتعبين في أصائل الربيع، وعلى كراسي الأرصفة وتحت الظلال يتضام الشرقيون كالقطعان الخائفة؛ يرشفون القهوة والبيرة، ويدخنون باسترخاء موغلين في ثرثرة شؤون المدارس، وذكريات الأوطان البعيدة الملفعة بالنميمة والغيرة وهذيان الجنس. هؤلاء الهاربون

من سجون المدارس، وأولئك الهاربون من سجون زوجاتهم ومنازلهم، ينتقلون من مقهى إلى آخر ضاربين بلاط الساحة، آلاف الخطوات تقطع من شرق الساحة إلى غربها أو العكس، وصار عندهم من المألوف الروتيني تبديل العملة، والحديث عن السفر إلى أوربا بين هؤلاء المهاجرين المنفيين خارج بلدانهم.

هـ. الأســـــواق :

للمدينة متاجر عديدة، تعرض فيها سلع متنوعة،وأسواق ضخمة، يقصدهـــا الناس لقضاء حاجاتهم طائعين مطيعين، ويتعامل فيها تجار بما هو مباح، وبما هو ممنوع على حد سواء ، ولا يهم شيء ماعدا الربح السريع والكثير، وســـــترى أن كل شيء يباع ويشترى ولا حدود للاحتكار والابتزاز والغش. تـــبرم الصفقـــات السوداء وتستبدل العملة الصعبة عن طريق المضاربين و المهربين.[114]

إنها مدينة استباحها جنون البيع و الشراء و لصوص العهد الجديد[115] مـــن أمثال يزيد ولد الحاج الرجل الأمي، وهم كثيرون ممن يعدون رؤوس المارشـــــي نوار.[116]

وقد اعتاد مهدي جواد وآسيا لخضر في ضحى كل أحد أن يلتقيا في البيت، ثم ينعطفان إلى السوق، يشتريان الخضار والسندويتش والبيرة والفواكه، بعـــد أن تمتلئ الحقيبة يتجهان إلى موقف الباص (الترام) [117]، وينزلان علـــى الشـــاطئ يقضيان فيه متعة ذلك اليوم.

ولكن فلة بوعناب تلخص حال الناس والسوق بقولها: «أمس نزلت السوق، وشفت الناس، رأيت الحوانيت الممتدة فـــي شـــرايين المدينـــة، ورأيـــت الســـلع المعروضة، لم أسمع إلا خذ وهات، إنه المال كان يصرخ..الإله الســـماوي كـــان يداس، كانوا خاشعين للإله الجديد : الدينار. ناسين الرب والثورة والأخلاق. كـــل الشعب كان هناك في سوق المدينة. هذا هو الوطن، الوطن الذي صار سوقا ليـــس

وطني، بعت كل ما أملك بدءا من الشرف...وانتهاء بالثورة، واحتفظت بنفسي».[118]

هكذا يصور الكاتب الوطن سوقا يباع فيه كل شيء! وتنتهك فيه كل القيم الجميلة.

بدا لنا منذ أن شرعنا في الكتابة أن رواية "وليمة لأعشاب البحر" قد جعلت بونة (أو عنابة) مسرحا لأحداثها، وقد اختار الكاتب الاسم الفينيقي (بونة) بدل الاسم العربي (عنابة)، وتحاشى تاريخها العربي الإسلامي. فكانت بونة مدينة لفظية واقعية. إذ تعمد الكاتب اختزال الجانب العربي من هذه المدينة، وما كان الإصرار على العربية إلا من الطالبة (آسيا) التي نخصها بالحديث في دراسة لاحقة. فكأن المدينة فقدت عروبتها عبر التاريخ.

وردت في الرواية صفات كثيرة لمدينة بونة أردنا أن نختم بها، فنذكرها الآن موزعة على ثلاث مجموعات، نطرحها لقراءة جديدة.

- أولا : صفات وصفية.
  - بونة إسلامية[119] عربية[120] بربرية[121] صغيرة[122] رطبة[123].
- ثانيا : صفات ايجابية.
  - بونة بيضاء[124] مضيئة[125] ساحرة[126] جميلة[127] عذبة[128].
- ثالثا :صفات سلبية.
  - بونة متوحشة[129] فظة[130] شرسة[131] غريبة[132] متزمتة[133].
  - بونة مطوقة[134] مسورة[135] مصمتة[136] مغلقة[137] صلبة[138].
  - بونة خاوية[139] كئيبة[140] رتيبة[141] مملة[142] ساخنة[143].
  - بونة موبوءة[144] ملعونة[145].

وأخيرا لنا عودة بأذن الله إلى هذه الرواية.

الهـــوامـــش

[1] الحدث العربي الدولي، مجلة سياسية ثقافية، العدد 8 يونيو 2000، باريس، ص 49.
[2] نفسه.
[3] الخبر، جريدة يومية، العدد، يوم 2000/07/18، الجزائر الصفحة الثقافية.
[4] الحدث العربي الدولي، مرجع سابق، ص50، وصاحب القول هو الروائي فيصل خرتش.
[5] حيدر حيدر، وليمة لأعشاب البحر أو نشيد الموت، رواية، الطبعة الرابعة، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيـع، 1992، ص155.
[6] سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للمرد العربي، المر كز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1997، ص30، 31.
[7] نفسه، ص31.
[8] الرواية، ص264.
[9] الرواية، ص214.
[10] الرواية، ص272.
[11] الرواية، ص20.
[12] الرواية، ص16.
[13] الرواية، ص19.
[14] الرواية، ص318.
[15] شارل اندري جوليان، تاريخ شمال أفريقيا، ترجمة محمد مزالي، والبشر بين السلامة، الدار التونســـية للنشـــر 1969، ص109 وما بعدها.
[16] الرواية، ص163.
[17] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر، 105/1.
[18] الرواية، ص163.
[19] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الطبعة الثانية، الجزائر، 1963. 96/1.
[20] الرواية، ص163.
[21] الرواية، ص10.
[22] الرواية، ص323.
[23] الرواية، ص18.
[24] الرواية، ص10.
[25] الرواية، ص276.
[26] الرواية، ص55.
[27] الرواية، ص10.
[28] الرواية، ص106.
[29] الرواية، ص165.
[30] الرواية، ص316.
[31] الرواية، ص165.
[32] الرواية، ص18.
[33] الرواية، ص165.
[34] الرواية، ص310.
[35] الرواية، ص318.
[36] الرواية، ص165.
[37] الرواية، ص13.
[38] الرواية، ص55،56.
[39] الرواية، ص56.
[40] الرواية، ص165.
[41] الرواية، ص81.

[42] كلمة (لالة) لفظ ينطق في الجزائر على المرأة التي تحظى بمكانة معتبرة وسط العائلة. وفي الأصل كان يطلق على المربي من الخدم. مبتذل عامي معرب. ينظر: شهاب الدين أحمد الخفاجي (1069هـ)، شفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل، تحقيق الدكتور محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، 1998، ص266.

[43] الرواية، ص290.

[44] الرواية، ص155.

[45] الرواية، ص10.

[46] الرواية، ص376.

[47] الرواية، ص377.

[48] الرواية، ص283.

[49] الرواية، ص42.

[50] الرواية، ص178،179.

[51] الرواية، ص90.

[52] الرواية، ص57.

[53] الرواية، ص96.

[54] الرواية، ص181.

[55] الرواية، ص323.

[56] الرواية، ص184.

[57] الرواية، ص276.

[58] الرواية، ص116.

[59] الرواية، ص251.

[60] الرواية، ص104.

[61] الرواية، ص16.

[62] الرواية، ص16.

[63] الرواية، ص306.

[64] الرواية، ص290.

[65] الرواية، ص35.

[66] الرواية، ص13.

[67] الرواية، ص88.

[68] الرواية، ص364.

[69] الرواية، ص83.

[70] الرواية، ص26.

[71] الرواية، ص122.

[72] الرواية، ص22.

[73] الرواية، ص47.

[74] الرواية، ص84.

[75] الرواية، ص100.

[76] الرواية، ص179.

[77] الرواية، ص250.

[78] الرواية، ص30.

[79] الرواية، ص51.

[80] الرواية، ص249.

[81] الرواية، ص51.

[82] الرواية، ص183.

[83] الرواية، ص113،114.

[84] الرواية، ص31.

[85] الرواية، ص115.

[86] الرواية، ص112.
[87] الرواية، ص100.
[88] الرواية، ص113.
[89] الرواية، ص102.
[90] الرواية، ص80.
[91] الرواية، ص280.
[92] الرواية، ص163.
[93] الرواية، ص376.
[94] الرواية، ص81.
[95] الرواية، ص282.
[96] الرواية، ص151.
[97] الرواية، ص35.
[98] الرواية، ص151.
[99] الرواية، ص65.
[100] الرواية، ص152.
[101] الرواية، ص301.
[102] الرواية، ص70.
[103] الرواية، ص301.
[104] الرواية، ص73.
[105] الرواية، ص86.
[106] الرواية، ص281.
[107] الرواية، ص346.
[108] الرواية، ص18.
[109] الرواية، ص15.
[110] الرواية، ص292.
[111] الرواية، ص56.
[112] الرواية، ص106.
[113] الرواية، ص357.
[114] الرواية، ص184.
[115] الرواية، ص339.
[116] الرواية، ص295.
[117] الرواية، ص251.
[118] الرواية، ص276.
[119] الرواية، ص119.
[120] الرواية، ص276.
[121] الرواية، ص191.
[122] الرواية، ص55.
[123] الرواية، ص40.
[124] الرواية، ص14.
[125] الرواية، ص27.
[126] الرواية، ص10.
[127] الرواية، ص183.
[128] الرواية، ص10.
[129] الرواية، ص18.
[130] الرواية، ص27.
[131] الرواية، ص163.

[132] الرواية، ص72.
[133] الرواية، ص10.
[134] الرواية، ص157.
[135] الرواية، ص276.
[136] الرواية، ص316.
[137] الرواية، ص378.
[138] الرواية، ص357.
[139] الرواية، ص357.
[140] الرواية، ص165.
[141] الرواية، ص165.
[142] الرواية، ص186.
[143] الرواية، ص167.
[144] الرواية، ص357.
[145] الرواية، ص357.